الشمس والقمر في ضوء القرآن الكريم

مقدم من
دكتورة/ ليلى بنت محمد العقيل
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن
كلية الآداب- قسم الدراسات الإسلامية

الشمس والقمر في ضوء القرآن الكريم

بحث تفرغ علمي لعام١٤٣٢هـ

مقدم من

دكتورة/ ليلى بنت محمد العقيل

جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

كلية الآداب- قسم الدراسات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، الحمد لله الخالق البارئ المصور، الحمد لله القائل: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ"(١). والقائل: "سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ"(٢).

والصلاة والسلام على رسوله النبي الأمي، الرحمة المهداة، والسراج المنير، وبعد:

نزل القرآن الكريم حيث كان العرب قد وصلوا إلى أرقى تطورات نضجهم اللغوي؛ فجاء القران الكريم آية في الجمال سواءاً في ألفاظه، أو أسلوبه، أو بيانه، أو نظمه، أو إعجازه . قال تعالى : "قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا"(٣).

---

(١) سورة النحل، الآية (٨٩).

(٢) سورة فصلت، الآية (٥٣).

(٣) سورة الإسراء، الآية (٨٨).

ومن ثم اشتمل القرآن على آيات كونية، وأخرى إنسانية، ولفت أنظارنا إلى السماء والأرض، والجبال، والبحار، والنجوم، والكواكب، والشمس، والقمر، داعياً الإنسان إلى استشعار الجمال وتذوق النفوس له من ناحية.

والإشارة إلى القوانين التي سخرت بمقتضاها هذه الأكوان، وخص الإنسان على معرفة مفاتيح هذه القوانين وسبب تسخير هذه الأكوان من ناحية أخرى ؛ ليتوصل بها إلى معرفة الخالق لها، وإبداعه في خلقها، ويشير بخشوع وانحناء وإكبار إليه سبحانه : "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ"[1].

ومن أجمل المشاهد التي ينطق بها الكون، وتعرض على الأسماع والأبصار هو مشهد الشمس والقمر في مجال السموات قال تعالى : "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ"[2].

لذلك توارد المفسرون منذ نزل القرآن الكريم؛ على تفسير واكتشاف آياته وأسراره في آياته الكونية، وإعجازها العلمي، وجمالها الرباني.

لذا وقع اختياري على هذا الموضوع لأسهم في جمع، وتمحيص، وتوضيح ما يخص الشمس والقمر من تفسير العلماء السابقين، والعلماء المعاصرين. وأضع بين يدي الآية الكريمة بعضاً من النظريات العلمية الحديثة، وما توصل إليه العلم في بيان عظمة آيات الله وحقائق الشمس والقمر حسب نواميس معينة.

إلا أنني لم أجعل من القرآن كتاب علوم، أو دائرة معارف؛ لأن القرآن لم يأت لتقرير الحقائق العلمية، ولم يكن يوما كتاب نظريات، وقوانين، وليست الغاية من الآيات التي تشير إلى بعض العلوم الفلكية أو غيرها من العلوم إشارات عامة؛ إلا للاستدلال على عظمة الخالق، ومن ثم الاعتراف بوجوده وتنزيهه.

---

[1] سورة القمر، الآية (٤٩).

[2] سورة الحجر، الآية (١٦).

وكما قال الحق إن هذا الكتاب هو آيات تهدينا إليه، فقد ذكر سبحانه أن في هذا الكون أيضا آيات تبصرنا به وتدلنا عليه قال تعالى : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا"[1].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

إن موضوع الشمس والقمر من الأهمية بمكان من حيث معرفتهما، والآيات التي تحدثت عنهما، فهما آيتان من آيات الله، وهما أبرز الكواكب التي من خلالهما تتضح عظمة الخالق وقدرته، ومن خلالهما تصل إلى معرفة الله وخشيته، وبهما يقوى الإيمان في قلوب المؤمنين وتزداد محبته، وفيهما تحقيق لقوله تعالى: "سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ"[2].

ولقد كان وراء اختيار الموضوع جملة أسباب تتلخص فيما يلي :

أولا : طرق موضوع الجمال القرآني للشمس والقمر بشكل متخصص ومتكامل.

ثانيا: التفسير العلمي للآيات المتعلقة بالشمس والقمر، من غير تكلف أولي أعناق الآيات من أجل موافقتها للحقيقة العلمية.

ثالثا: رفع مستوى الإحساس بالجمال، وتنمية الذوق الجمالي ؛ من خلال لفت النظر إلى جمال الشمس والقمر في وصف القرآن الكريم لهما.

رابعا: إقامة الدليل على وجود الله تعالى في وقت كثر فيه الإلحاد وجحد الإله، ليس بين الأفراد فقط ؛ بل وعلى مستوى الدول الإسلامية التي اتخذت العلمانية منهجاً لها.

لذلك فإن إثبات القرآن لكثير من حقائق الشمس والقمر هو من أنجح الوسائل لإقناع أهل عصرنا من الملحدين وغيرهم بحجية القرآن، ووجود الله، وإقامة البرهان على نبوة محمد ﷺ.

---

[1] سورة النساء، الآية (١٧٤).

[2] سورة فصلت، الآية (٥٣).

هدف البحث:

يهدف البحث إلى إيضاح وبيان قدرة النص القرآني في وصف جمال الشمس والقمر وصفا دقيقا، معجزاً غاية الإعجاز، وكيف أن القرآن الكريم معجزة جمالية إضافة إلى كونه معجزة بيانية، وتشريعية، وعلمية.

المنهج في البحث:

لقد اتبعت فى هذا البحث المنهج التالي :

أولا : عزو الآيات القرآنية الكريمة المستشهد بها إلى سورها.

ثانيا:تخريج الأحاديث من مظانها من كتب السنة، وإن كان الحديث في البخاري ومسلم أو أحدهما يكتفى بالتخريج منهما واعتباره حكما بالصحة.

ثالثا: فهم النص القرآني وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، وحسب قواعدها، وأساليب التعبير فيها، مع عزو الأقوال إلى قائليها.

رابعا: التفسير التحليلي لفهم بعض النصوص القرآنية، وبيان معانيها؛ من خلال أقوال المفسرين وآرائهم.

خامسا:التفسير العلمي وبيان وجوه الإعجاز في فهم دلالات الآيات، وتوظيف الحقائق العلمية كلما توافرت من غير تكلف، أو تحميل للآيات ما لا تحمله.

سادسا:إذا كان النقل من المصدر، أو المرجع نصا يذكر المصدر أو المرجع مباشرة بدون كلمة انظر، وإذا كان النقل بتصرف أو بالمعنى يقال : انظر كذا.

سابعا: عند إيراد اسم المصدر، أو المرجع فانه يكتفى باسم الكتاب واسم مؤلفه ورقم الجزء والصفحة، وأما بيانات النشر وتاريخ الطبع فذكرت في فهرست المصادر والمراجع حتى لا تثقل الحواشي.

ثامنا: ذُيل البحث بخاتمة ذُكر فيها أهم نتائجه وتوصياته.

تاسعا: صنع فهارس تفصيلية للبحث وفق ما يلي :

١- فهرس للآيات المستشهد بها.

٢- فهرس للأحاديث النبوية الشريفة.

٣- فهرس للمصادر والمراجع.

٤- فهرس للموضوعات.

هذا وأحمد الله على أن وفقني لإتمام هذا البحث، واسأله أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم.

وأختم حديثي بمقولة مشهورة للعماد الأصفهاني : "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا وقال في غده: لو غيرّ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر"[1].

[1] معجم المؤلفين، عمر كحالة (٥٨/٣).

الفصل الأول

التعريف بالشمس والقمر

المبحث الأول : معنى النجوم والكواكب في اللغة والإصطلاح

المعنى اللغوي :

إذا تتبعنا علماء اللغة فنجد أنهم في تعريفهم للنجم يسندون إليه معنى الكوكب والعكس. فيقولون : النجم الكوكب، وكذلك بالنسبة لتعريف الكوكب فيقولون : الكوكب النجم.

ومن فرق بينهما في التعريف فإنه يراعي معنى من معانيهما أو صفة من صفاتهما، فعلى سبيل المثال: ذكروا أن النجم عند الإطلاق يراد به الثريا؛ قال سيبويه: "هذا باب يكون فيه الشيء غالباً عليه اسم يكون لكل من كان أمته، أو كان في صفته، من الأسماء التي يدخلها الألف واللام، وتكون نكرته الجامعة لما ذكرت له من المعاني وذلك ... ثم مثل بالصعق والنجم، بالصعق في الأصل صفة تقع على كل من أصابه الصعق، ولكنه غلب عليه حتى صار علما بمنزلة زيد وعمرو. وقولهم النجم، صار علماً للثريا"[1].

وأضاف علماء اللغة في تفريقهم بأن معنى نجم: طلع وظهر، ففيه مراعاة لمعنى من معاني النجوم وهو الظهور والطلوع[2].

قال الراغب الأصفهاني في المفردات : أصل النجم الكوكب الطالع، وجمعه نجوم، ونجم طلع نجوماً، ونجما. فصار النجم مرة اسماً ومرة مصدراً.

وقوله : "وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ"[3] قيل : أراد به الكواكب، وإنما خص الهوى دون الطلوع لإن لفظة النجم تدل على طلوعه.

وقيل : أراد بالنجم الثريا.

---

[1] الكتاب (٢/١٠٠-١٠١)

[2] انظر: لسان العرب، ابن منظور (١٤/٥٩)، القاموس المحيط، الفيروز آبادي (١٣٧٠)، مادة (نجم).

[3] سورة النجم، الآية (١).

والعرب إذا أطلقت لفظ النجم قصدت به الثريا[1].

وأما الكواكب فقد راعى فيه علماء اللغة معنى الإضاءة والبياض وهي صفة من صفات الكوكب[2].

قال الجوهري في الصحاح:"الكوكب معروف من كواكب السماء ويشبه به النور فيسمى كوكباً.الكوكب النجم،وكوكب الشيء معظمه،وكوكب الروضة نورها" [3].

أما أبو هلال العسكري ففرق بينهما في كتابه حيث قال : "الفرق بين الكوكب والنجم، أن الكوكب اسم للكبير من النجوم وكوكب كل شيء معظمه.

والنجم عام في صغيرها وكبيرها. ويجوز أن يقال : الكواكب هي الثوابت. ومنه يقال : فيه كوكب من ذهب أو فضة. لأنه ثابت لا يزول. والنجم الذي يطلع منها ويغرب، ولهذا قيل للمنجّم منجّم لأنه ينظر فيما يطلع منها، ولا يقال لهُ مكوكب" [4].

المعنى الاصطلاحي [5] للنجوم والكواكب: قال تعالى : "تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا"[6].

لقد فرق القرآن الكريم بين النجوم والكواكب في معنييهما ومدلول كل منهما في كثير من الآيات.

وهو ما توصل إليه علماء الفلك الحديث بعد اكتشاف المناظير، وإجراء الدراسات الضوئية وغيرها، على النجوم والكواكب خلال القرون الماضية.

وخلاصة الدراسات تفيد بأن النجوم هي أجرام سماوية كبيرة الحجم، تولد الطاقة من خلال التفاعلات النووية التي تجري في باطنها، وتؤدي إلى صدور كميات

---

[1] انظر: المفردات (٢/٦٢٥).

[2] انظر : لسان العرب، ابن منظور (١٢/١٨٩) , مختار الصحاح، الرازي (٢٤٢)، مادة "كوكب".

[3] (١/٢١٣) مادة (ككب).

[4] الفروق (٣٣٤).

[5] المراد ما اصطلح وتعارف عليه علماء الفلك.

[6] سورة الفرقان، الآية (٦١).

هائلة من الطاقة. فبذلك تصدر الضوء والحرارة من ذاتها. ومن أشهر هذه النجوم الشمس[١].

أما الكواكب فهي أجرام سماوية معتمة تتكون من الصخر والمعدن تنتمي إلى نجم وتدور بمدارين :

المدار الأول : حول نجمها، أو النجم الرئيسي في مجموعتها.

والمدار الثاني : حول نفسها.

فمثلاً : الكرة الأرضية كوكب، تدور حولها نفسها وتدور حول نجمها وهو الشمس.

ولا تُولِّد الكواكب الطاقة ؛ أي لا تنتج ضوء ولا حرارة بذاتها، بل تأخذ نورها وحرارتها من شمسها أو نجمها الرئيسي فهي أجسام باردة، وهي إما أجسام صلبة كالأرض، أو غازية كالمشتري[٢].

المبحث الثاني : معنى الشمس والقمر في اللغة والإصطلاح وورودهما في القرآن الكريم

معنى الشمس في اللغة :

الشمس تجمع على شموس، كأنهم جعلوا كل ناحية منها شمساً، كما قالوا للمَفْرق مُفَارق. وتصغيرها : شمسية وشمّس يومنا وأشمس : صار ذا شمس. ورجل شموس : صعب الخلق، عسير في عداوته، شديد الخلاف على من عانده[٣].

أما القمر في اللغة :

قال ابن قتيبة : "الأقمر الأبيض الشديد البياض، والأنثى قمراء. ويقال للسحاب الذي يشتد ضوءه لكثرة مائه : سحاب أقمر"[٤].

---

(١) انظر : آيات الله الكونية في القرآن، د. محمد سالم (١٠٣)، الإعجاز العلمي في القرآن، لمحمد سامي (٥٨)، علم الفلك والكون، د. عواد الزحلف (١٨٤).

(٢) انظر : الإعجاز العلمي، محمد عبد الصمد (٦٠)، الكون في القرآن، اليماني (٢٥٥).

(٣) انظر : الصحاح، الجوهري (٩٤٠/٣)، المفردات، الراغب (٣٥٢/١)، لسان العرب، ابن منظور (١٩٣/٧) مادة (شمس).

(٤) تفسير غريب القرآن (١٠٢).

والقمر الذي في السماء هو مشتق من القمُرَه، والجمع أقمار. ويقال له قمر عند الامتلاء، وذلك بعد الليلة الثالثة. قيل : وسمي بذلك لأنه يقمر ضوء الكواكب فيفوز به.

وقيل سمي بذلك لبياضه. وليلة قمراء أي مضيئة. وأقمرنا : أي طلع علينا القمر[1].

معنى الشمس في الاصطلاح وورودها في القرآن الكريم :

ورد ذكر الشمس في القرآن الكريم (٣٥) مرة، منها (٣٣) مرة باسمها الشمس، ومرتان بوصفها بأنها سراج ؛ وفي إحدى هاتين المرتين زيد في وصفها بأنها سراج وهاج[2].

وإذا تتبعنا آيات القرآن نلاحظ أن كلمة الشمس تأتي دائما قبل القمر كقوله: " ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ"[3].

وقوله : "وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ"[4].

ويمكننا أن نستنتج أن الله قدّم ذكر الشمس على ذكر القمر لأنها هي الأصل. فالشمس لها تاريخ طويل في قصص الشعوب، فطالما اتخذها الإنسان إلهاً كان يخشاه، ويعبده، ويسجد له من دون الله ومن ذلك قصة الهدهد مع نبي الله سليمان حيث قال : " إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدتُّهَا

---

(١) انظر : الصحاح، الجوهري (٧٩٨/٢)، المفردات، للراغب (٥٣٣/٢)، لسان العرب، ابن منظور (٢٩٩/١١)، مادة (قمر).

(٢) انظر : آيات الله في خلق الكون، د. ماهر الصوفي (٤٨٥)، العلوم المعاصرة في خدمة الداعية، د. محمد الحبال (٢٣٥)، الإشارات العلمية في القرآن، كارم غنيم (١٧٨).

(٣) سورة الرعد، الآية (٢).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٣٣).

وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ..."[1].وهكذا بقيت الشمس رمزاً للآلهة طيلة قرون طويلة. وعندما نزل القرآن على قلب سيدنا محمد ﷺ تناول الشمس وبيّن أنها مخلوق من مخلوقات الله. وكانت جميع الآيات التي تحدثت عنها عندما نتأملها علمياً نجد فيها التطابق الكامل بين الحقائق العلمية وبين ما جاء في القرآن قبل أربعة عشر قرناً.

فما هي حقيقة الشمس ؟

الشمس هي نجم متوسط الحجم، مضيئة بذاتها، وهي أعظم النجوم المرئية لنا منظراً، وأسطعها ضوءاً، وأغزرها حرارة، ولجزلها نفعاً للأرض التي نسكنها.

وهي ليست كتلة صلبة كأرضنا بل هي عبارة عن كتلة هائلة ملتهبة من الغازات شديدة الحرارة.

وتدور حول محورها بطريقة مغايرة تماماً لطريقة دوران الكواكب الصلبة ؛ فوسط الشمس "خط استوائها" يدور حول المحور دورة كاملة في ٢٥ يوماً. بينما تطول هذه المدة في المناطق شمال وجنوب خط الاستواء، حتى تصل إلى حوالي ٣٧ يوماً عند القطبين أي أن الشمس في هذه الحالة تدور وكأنها تفتل فتلا، وطريقة دورانها يسمى الدوران التفاضلي.

وتبعد الشمس عن أرضنا حوالي ٩٣ مليون ميل، لهذا فإن ضوءها يستغرق ٨ دقائق و ١٨ ثانية ليصل إلى أرضنا[2].

معنى القمر في الاصطلاح وورده في القرآن الكريم :

جاء ذكر القمر في القرآن الكريم (٢٧) مرة في (٢٦) آية، تكرر ذكره في آية منها وهي قوله : "وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ"[3].

---

[1] سورة النمل، الآيتان (٢٣-٢٤).

[2] انظـر : السماء في القرآن، د. زغلول النجار (٤٧٠)، المنظومة الشمسية، د. علي موسى (٣٤٢)، آيات الله الكونية، د.محمد سالم (٢٠١)، الله يتجلى في عصر العلم (٢٦٥).

[3] سورة فصلت، الآية (٣٧).

كما جاء ذكر القمر بالإشارة إلى مراحله تحت مسمى الأهلة مرة واحدة، وذلك عند قوله تعالى : "يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ" [1] [2].

فالقمر ثاني الأجرام السماوية التي نشاهدها بالسماء بعد الشمس.

فما هو القمر ؟

القمر جسم معتم لا يصدر الضوء، بل يستمد ضوءه من الشمس التي تضيء أحد نصفيه. وعلى الرغم من أن سطح القمر معتم بصفة عامة إلا أن الله تعالى قد جعل له القدرة على عكس ما قيمته ٧,٣% من أشعة الشمس الساقطة عليه.

وهو جسم تابع للأرض في حركتها، يدور على محوره مرة واحدة في فترة تستغرق نفس فترة دورانه حول الأرض، أي مرة واحدة كل شهر.

كما أن القمر يحوي قلباً صغيراً من الحديد والكبريت، تحيط به طبقة الغلاف المانع من الصخور المنصهرة جزئياً، وفوق هذه الطبقة الغلاف الصخري الجامد، تغطيها قشرة من الصخور الغنية والألمنيوم والكالسيوم. ولا يوجد للحياة على سطح القمر لخلوه من الماء والهواء الضروريين للحياة.

ولانعدام الغلاف الجوي على سطح القمر نتائج كثيرة؛ فلا فجر، ولا شفق، ولا سماء زرقاء بل قبة ظلماء محلاة بالنجوم المشعة، حتى في منتصف النهار، ولا ظل لشيء بالإضافة إلى استحالة سماع الأصوات نتيجة لانعدام أمواج الهواء.

ونهار القمر طويل، وكذلك ليله. ويساوي نهار القمر (١٤) يوماً من أيام أرضنا.

ونحن على سطح الأرض لا نرى إلا وجهاً واحداً للقمر، أما وجهه الآخر فهو محجوب عنا أبد الدهر[٣].

---

[1] سورة البقرة، الآية (١٨٩).

[2] انظر : السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار (٤٥٢).

[3] انظر : السماء في القرآن، د. زغلول النجار (٥١٥)، الله يتجلى في عصر العلم (٣٠١)، الكون العجيب، قدري طوقان (٣٥٨)، الإنسان والقمر، محمد حسن (١٤٣).

المبحث الثالث : وظيفة الشمس والقمر، وعلاقتهما ببعض العبادات:

قال تعالى : "وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ" [1].

لو رجعنا إلى كتب اللغة في معنى كلمة "سخر" نلاحظ أن معناها بدقة : كلفه عملاً بلا أجر. والتسخير : سياقه إلى الغرض المختص قهراً، فالمسخر هو المقيض للفعل، والسخري : هو الذي يقهر فيتسخر بإرادته[2].

وهذا ما يقوم به كل من الشمس والقمر لملايين السنين. وأكد هذا التسخير بقوله : "دَائِبَيْنِ". قال الرازي : "معنى الدؤوب في اللغة : مرور الشيء في العمل على عادة مطردة، يقال: دأب يدأب دأباً ودؤوباً. معناه : يدأبان في سيرهما وإنارتها وتأثيرهما في إزالة الظلمة، وفي إصلاح النبات والحيوان. فإن الشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، ولولا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة ولولاها لاختلت مصالح العالم بالكلية"[3].

فما وظيفة كل منهما ؟

وظيفة الشمس :

١- تسخير طاقة الشمس من أجل ضبط حركة الحياة على الأرض :

- تطلق الشمس من مختلف صور الطاقة ما يقدر بحوالي ٥٠٠ ألف مليون مليون مليون حصان في كل ثانية من ثواني عمرها.

ويصل إلى الأرض من هذا الكم الهائل من الطاقة حوالي الواحد في الألف، فهي تمثل كل مصادر الطاقة المباشرة وغير المباشرة على الأرض، وبدون هذه الطاقة الشمسية

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٣٣).

(٢) انظـر : المصباح المنير، الفيومي (٢٠١/١)، مختار الصحاح، الرازي (١١٩)، القاموس المحيط، الفيروز آبادى (٥٠١) مادة (سخر).

(٣) مفاتـيح الغيب (١٠١/١٩)، وانظر : جامع البيان، الطبري (١٣/١٦-١٤)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٣٨/٩)، تفسير ابن كثير (٥١١/٤).

تستحيل الحياة على كوكبنا، لأن كلاً من النبات والحيوان والإنسان يعتمد في وجوده – بعد إرادة الخالق سبحانه وتعالى – على قدر الطاقة التي تصله من أشعة الشمس[١].

- كذلك الظواهر الفطرية التي تحدث في الأرض ومن حولها تعتمد على هذه الطاقة من الشمس، فتصريف الرياح، وإرسال السحاب، وإنزال المطر، وغيرها الكثير تحركها طاقة الشمس بإرادة الله ﷻ (٢).
- كذلك فإن الله ﷻ قد أعطى الشجر الأخضر القدرة على خزن جزء من طاقة الشمس على هيئة عدد من الروابط الكيميائية التي تمثل المصدر الرئيسي للغذاء على الأرض، ولكل أنواع الطاقة الحرارية، والضوئية، والكهربائية، والكيميائية(٣).
- كما أن الأرض لو كانت تبعد عن الشمس ضعف بعدها الحالي لنقصت كمية الحرارة التي تصلنا إلى ربع كميتها الحالية، ولقطعت الأرض دورتها حول الشمس في وقت أطول، ولتضاعف تبعاً لذلك طول فصل الشتاء ؛ فتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض.
- ولو اقتربت الأرض من الشمس إلى نصف المسافة التي تفصلها الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الأرض من الشمس أربعة أمثال ما تتلقى منها الآن، مما يحول دون وجود حياة نباتية أو حيوانية، ولتضاعفت سرعة الأرض حول الشمس ولانعدمت الفصول الأربعة واستحالت الحياة. ذلك تقدير العزيز العليم[٤].

٢- تكوين نطق الحماية المختلفة للأرض بفعل طاقة الشمس :

شاءت إرادة الله ﷻ أن يحمي الحياة على سطح الأرض بعدد من نطق الحماية التي لعبت أشعة الشمس ولا زالت تلعب الدور الأول في تكوينها بعد إرادة الله. وهذه النطق هي :

---

(١) انظر : آيات الله في الآفاق، د. محمد النابلسي (٢٠١)، آيات الله في السماء، د. زغلول النجار (١٤٥)، آيات الله في الآفاق، عبدالمجيد الزنداني (٢٥٨).

(٢) انظر : الإعجاز العلمي للقرآن، د. زكريا ياهيمي (٧٥)، تفسير الآيات الكونية، د. عبدالله شحاته (١٢٥).

(٣) انظر : الإعجاز العلمي، محمد عبدالصمد (١١٥)، الجانب العلمي في القرآن، د. صلاح خطاب (٢٣٠).

(٤) انظر : الإعجاز في القرآن، سامي الموصلي (٦٥)، خلق الكون بين العلم والإيمان، د. محمد الطائي (١٨٦).

(أ) النطاق المغناطيسي للأرض. (ب) أحزمة الإشعاع.

(ج) النطاق المتأين. (د) نطاق الأوزون.

وهذه النطق تتعاون في حماية الأرض من الإشعاعات الكونية، وفوق البنفسجية، ومن العديد من الجسيمات الكونية الدقيقة والكبيرة، والتي منها النيازك والشهب. ولو لم تكن هذه النطق موجودة لاستحالت الحياة على الأرض، ولو لم تكن الشمس موجودة ما تكونت تلك النطق على الإطلاق[1].

٣- فائدة الشمس لجسم الإنسان :

لأشعة الشمس فوائد جمة لجسد الإنسان وصحته، فلولا الله ثم هذه الأشعة لانتشرت كثير من الأمراض السارية والأوبئة ؛ فبكتيريا الطاعون مثلاً ؛ تموت إذا تعرضت لأشعة الشمس مدة خمس ساعات، وبكتيريا السل تموت بعد نصف ساعة من تعرضها لأشعة الشمس.

كذلك الإشعاع الشمسي ؛ ينشط الدورة الدموية، ويساعد في عملية تمثيل الطعام. وله أثر محسوس في فعالية التوالد والتكاثر. والتعرض المعتدل لأشعة الشمس يؤثر على خلايا الجسد تأثيراً إيجابياً ويساهم في مساعدة هذه الخلايا على إنتاج فيتامين (دي) وهو فيتامين مهم جداً للإنسان، حتى إن العلماء اكتشفوا حديثاً أنه يقي الإنسان من مرض السرطان.

ومن الأمراض التي يبعدها ـــ بإذن الله ـــ التعرض لأشعة الشمس باعتدال أمراض نخر العظام[2]. ولذلك فإن الشمس تقدم لنا علاجاً مجانياً من دون أن نشعر. وهذه من نعم الله علينا التي لا تعد ولا تحصى، ولذلك قال ﷻ بعد "وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ

---

(١) انظر : موسوعة الإعجاز العلمي، د. محمد النابلسي (٢٤٦).

(٢) انظـر : المعـارف الطبـية في ضوء القرآن، د. أحمد خليل (٣٠٤)، آيات الله في خلق الكون، د. ماهر الصوفي (٥٠١).

وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ..." قال في الآية التالية مباشرة: "وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ"[1].

٤- تحديد الزمن :

من وظائف الشمس المهمة لحياة الإنسان في يومه وسنينه تحديد الزمن وإدراكه، وبها يتم تحديد الأوقات والتاريخ للأحداث، ويتحدد بها الفصول المناخية. كل هذا وأكثر يكون بدورة الأرض حول محورها، وبسبحها في مدارها حول الشمس[2].

٥- تحديد مواقيت الصلاة :

قال تعالى:"أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ"[3].

لقد حددت الآية القرآنية مساحة الصلوات الأربع في الزمن الذي يقع بين وقت الزوال عند الظهر إلى ظلمة الليل بعد غياب الشمس. وهذه مساحة الظهر والعصر والمغرب والعشاء. ثم جاءت الآية فخصت الفجر بالذكر بقوله : "وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ" أي صلاة الفجر[4].

ولقد أشار العلم الحديث بشكل واضح إلى دورة الشمس في معرفة التوقيت للصلاة. فيقول العلماء : إن التوقيت يدل عليه حركة الشمس الظاهرية، والتوقيت الذي يحسب فيه موقع الشمس من الأرض توقيت موحد وقياسي[5].

أما عن وظائف القمر :

إن المسافة التي تفصلنا عن القمر هي المسافة المناسبة لكي يصبح القمر كوكباً منيراً كما نراه. وحجم القمر أيضا هو الأنسب لهذه المهمة، فلو كان القمر أصغر مما

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٣٤).

(٢) انظر : النجوم والكواكب سلسلة دليل المعرفة (٢١٧)، آيات الله في السماء، د. زغلول النجار (٤٢٣).

(٣) سورة الإسراء، الآية (٧٨).

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٢٨/٧)، زاد المسير، ابن الجوزي (٣٠٤/٣).

(٥) انظر : الكون في القرآن، اليماني (١١٨).

هو عليه الآن لم يصل إلينا من نوره إلا القليل. واختفت صفة الإنارة عنه، ولو كان أكبر قليلاً مما هو عليه الآن لكانت كمية الضوء التي تصل إلينا كبيرة جداً تعكر صفو الليل الذي جعله الله لنسكن فيه.

فما هي وظيفة هذا القمر ؟

١- إضاءة سماء الأرض بمجرد غياب الشمس :

سطح القمر زجاجي معتم تماماً. وعلى الرغم من ذلك فإن الله قد أعطاه القدرة على عكس ما قيمته (٧,٣%) من أشعة الشمس الساقطة عليه.

وبذلك ينير سماء الأرض بمجرد غياب الشمس. فهو يعمل عمل المرآة العاكسة إذ يعكس ضوء الشمس إلينا فينور ظلام ليلنا. ولولاه لكانت لياليا معتمة أبد الدهر[١].

٢- القمر عامل مساعد في معرفة عدد السنين والحساب :

بانتقال القمر في منازله الواحد تلو الآخر، نشأ عنه معرفة أجزاء السنة.

كما أن انتقال القمر كل يوم من مرحلة لأخرى، واتخاذه أشكالاً مختلفة ابتداءاً بالهلال، وانتهاءاً بالمحاق خلال فترة ٢٩,٥ يوم تقريباً ؛ نشأ عنه معرفة أجزاء الشهر القمري، وبالتالي معرفة عدد أيام السنة القمرية، وضبط الزمن، وحسابه، وتقديره، وشهوره، وسنينه.

وذلك من رحمة الله في خلقه أن جعل للإنسان مقاييس تساعده في معرفة الزمن[٢].

٣- القمر وسيلة من وسائل إتمام عمليتي المد والجزر :

المد والجزر قوتان من قوى الأرض تعملان على تفتيت صخور الشواطئ، وتكوين أنواع عديدة من الرسوبيات والصخور الرسوبية على طول تلك الشواطئ.

كما تعملان على تركيز العديد من الثروات المعدنية من المعادن ذات الكثافة العالية، وهو ما يُعرف باسم الرمال السوداء[٣].

---

(١) انظر : الإنسان والقمر، د. محمد حسن (٢٩١).

(٢) انظـر : القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق النوفل (٧٩)، لفتات علمية من القرآن، يوسف يعقوب (١٠١).

(٣) انظر : أعماق الكون، سعد شعبان (٤٧)، الكون العجيب، قدري طوقان (١٦٣).

والقمر هو المسؤول عن المد والجزر للمحيطات وسببه جذب القمر للأرض. والمد هو تقدم مياه البحار لبضعة أمتار، ثم ينخفض بضعة أمتار أخرى وهو الجزر. ويحدث ذلك مرتين في اليوم. وحينما يبلغ القمر هيئة البدر التام يزداد تأثيره ويصبح المد والجزر أكبر من المعتاد[1].

ولهذا أوصانا الرسول ﷺ بصيام الأيام التي يكتمل فيها القمر وتسمي بالأيام البيض. أخرج البخاري في صحيحه [2] عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "أوصاني خليلي بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام".

قال ابن حجر في الفتح : المراد بالبيض الليالي التي يكون فيها القمر من أول الليل إلى آخره.

وسميت بالبيض لأن لياليها بيضاء من شدة ضوء القمر عند اكتماله، ولأنها أشبهت بالنهار لشدة ضوئها واكتماله[3].

وقد أظهرت الأبحاث العلمية ما يكشف سر صيام هذه الأيام ومفاد هذه الأبحاث : أن القمر عندما يكون بدراً يزداد التهيج العصبي، والتوتر النفسي إلى درجة بالغة.

يقول الدكتور ليبر عالم النفس بميامي في الولايات المتحدة : أن هناك علاقة قوية بين العدوان البشري والدورة القمرية وخاصة بينه وبين مدمني الكحول، والميالين إلى الحوادث، وذوي النزعات الإجرامية، وأولئك الذين يعانون من عدم الاستقرار النفسي والعاطفي. ويشرح ليبر نظريته قائلاً : "إن جسم الإنسان مثل سطح الأرض يتكون من ٨٠% من الماء والباقي هي المواد الصلبة". ومن ثم فهو يعتقد بأن قوة جاذبية القمر التي تسبب المد والجزر في البحار والمحيطات تسبب أيضاً هذا المد في أجسامنا عندما يبلغ القمر أوج اكتماله في الأيام البيض عن طريق ازدياد الانفعال والتهيج. وأصبح من

---

(١) انظر : الإنسان والقمر، د. محمد حسن (٢٨٧)، الفلك، صلاح الدين بيطار (١٤٣).

(٢) كتاب الصوم (٤٥/٢).

(٣) انظر: فتح الباري، (٤٦/٢).

المعروف أن للقمر في دورته تأثيراً على السلوك الإنساني وعلى الحالة المزاجية وهناك حالات تسمى الجنون القمري.

ومن هنا نلمس العلاج النبوي لحل هذه الظاهرة المتمثل في صيام أيام البيض، فالصيام بما فيه من امتناع عن تناول السوائل يعمل على خفض نسبة الماء في الجسم خلال هذه الفترة التي يبلغ تأثير القمر فيها على الإنسان أقصاه، فيسيطر على قوى جسده ونزاعته، فيكتسب من وراء ذلك الصفاء النفسي، والاستقرار، ويتفادى تأثير الجاذبية. ويحصل على الراحة والصحة والطمأنينة[١].

٤– القمر مرشد للمسافرين في البر والبحر :

إن مشارق القمر ومغاربه المختلفة طيلة دورته الاقترانية المسماة بالشهر القمري عامل أساسي في معرفة الاتجاهات والأوقات.

٥– القمر والأهلة مواقيت للناس والحج :

قال تعالى : "يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ...." [٢].

إن الله قد خلق الأهلة لتكون معالم يحدد بها الناس حجهم، وصومهم. قال رسول اللهﷺ: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته"[٣]، وزكاتهم، ومواعيد زرعهم، وحصادهم، والشهر الحرام. وقد خص المواقيت والشهور التي يحددها القمر دون الشهور الشمسية، لأنها أسهل معرفتها لدى الأمي والمتعلم بواسطة مراقبة الهلال. بينما الشهور الشمسية يتطلب حسابها معرفة دقيقة بحركة الأفلاك المعقدة[٤].

---

(١) انظر : موقع د. محمد علي البار على الشبكة العنكبوتية.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم (٣٢/٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام(٧٦٢/٢).

(٤) انظر : بين الدين والعلم، عبدالرزاق النوفل (٦٦)، الإنسان والقمر، د. محمد حسن (٢٠١).

الفصل الثاني

وصف الشمس والقمر في القرآن الكريم

المبحث الأول : وصف الشمس

المطلب الأول : جمال الشمس في الشروق.

قال تعالى : "وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا" [1].

هذه الآية الكريمة جاءت في مطلع سورة الشمس ؛ وقد سميت بهذا الاسم لاستهلالها بقسم من الله، وهو الغني ﷻ، عن القسم بالشمس وغيرها، وهي ضمن إقسامه ﷻ بعدد من آياته في الكون.

والقسم هنا هو قسم بالمخلوق وبفعله. فالقسم بالشمس عامة وهي المخلوق، وحين تضحي وترتفع عن الأفق بصفة خاصة وهو فعلها.

وهي أروق ما تكون في هذه الفترة ؛ ففي الشتاء يكون وقت الدفء المستحب الناعش، وفي الصيف يكون وقت الإشراق الرائق قبل وقدة الظهيرة وقيظها. فالشمس في الضحى في أروق أوقاتها وأصفاها[2].

والضحى يطلق على الشمس، وعلى ضوئها ونورها، وعلى إشراقها إلى وقت الظهيرة، وعلى نفعها الصادر منها.

يقال : ضحى الرجل إذا أصابته الشمس، أو إذا برز لها: أي تعرض لأشعتها[3].

---

(1) سورة الشمس، الآية (1).

(2) انظر : في ظلال القرآن، سيد قطب (٣٩١٦/٦).

(3) انظر : معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣٣١/٥)، تفسير البغوي (٤٣٧/٨)، زاد المسير، ابن الجوزي (٢٧٠/٨)، مفاتيح الغيب، الرازي (١٧٣/١١)، تيسير الكريم الرحمن، السعدي (٦٣٠/٧)..

قال مجاهد : "وَضُحَىٰهَا" أي ضوؤها. وقال قتادة : هو النهار كله[١]. وهو اختيار الفراء[٢] وابن قتيبه[٣] وابن تيمية[٤].

وقال الراغب في المفردات : "الضحى انبساط الشمس وامتداد النهار، وسمي الوقت به"[٥].

وسواءاً أكان المقصود بضحى الشمس هو وقت إشراقها، أو النهار كله. فهو وقت تطلع فيه الشمس فيصفو ضوؤها ويزداد جمالها، وهي فترة يتزايد فيها وصول طاقة الشمس إلى الأرض بما له من انعكاسات هائلة وفوائد جمة على كل من الأحياء والنباتات وحتى الجمادات.

وقد ثبت علمياً أن نطق الحماية التي خلقها الله للأرض ومن عليها مثل نطاق الأوزون وغيره، تتمدد تمدداً ملحوظاً، مع شروق الشمس. ويصل هذا التمدد مداه عند الظهيرة، ثم تبدأ تلك النطق في الانكماش حتى تصل إلى أدنى سمك لها عند منتصف الليل[٦].

قال ابن تيمية : "قال: "وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا" ولم يقل ونهارها ولا ضيائها لأن الضحى يدل على النور والحرارة جميعاً، وبالأنوار والحرارة تقوم مصالح العباد"[٧].

المطلب الثاني : جمال الشمس في الغروب:

قال تعالى : "فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ"[٨].

---

[١] النكت والعيون، الماوردي (٦/٢٨١)، زاد المسير، ابن الجوزي (٨/٢٧٠).

[٢] معاني القرآن (٣/٢٦٦).

[٣] تفسير غريب القرآن (٤٥٦).

[٤] مجموع الفتاوى (١٦/٢٤٨).

[٥] (٢/٣٨٢)، وانظر : عمدة الحفاظ، السمين الحلبي (٢/٣٧١).

[٦] انظر : السماء في القرآن، د. زغلول النجار (٤٤٧).

[٧] مجموع الفتاوى (١٦/٢٤٨).

[٨] سورة الانشقاق، الآية (١٦).

أقسم الله بالشفق ليلفت أنظارنا إلى الجمال الكبير الذي يتمتع به هذا المنظر للشمس.

الشفق الذي لا يُنكر جماله أحد، لما له من ظهور عند جميع الناس فضلاً عن أهل الجمال، وأهل الذوق.

واختلف في معنى الشفق عند العلماء فقيل : الشفق هو البياض الباقي في الأفق الغربي بعد الحمرة وهو قول أبي حنيفة في أحد الروايات عنه[١].

وأما قول عامة المفسرين[٢]، واللغويين[٣]، والفقهاء[٤]. فالشفق هو الحمرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب إلي صلاة العشاء. وأصله من رقة الشيء.

واستدلوا بعدة وجوه منها؛ قولُ الفراء: "سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق، وكان أحمر، قال : فدل ذلك على أن الشفق هو الحمرة".

والثاني : أنه جعل الشفق وقتاً للعشاء الأخيرة فوجب أن يكون المعتبر هو الحمرة لا البياض ؛ لأن البياض يمتد وقته ويطول لبثه. والحمرة لما كانت بقية ضوء الشمس ثم إذا بعدت الشمس عن الأفق ذهبت الحمرة.

والثالث : أن اشتقاق الشفق من الرقة؛ ولا شك أن الضوء يأخذ في الرقة والضعف من عند غَيبة الشمس، فتكون الحمرة شفقاً[٥].

وسواءاً أكان المقصود بالشفق هو الحمرة عند الغروب أم هو البياض فكلاهما جميل.

---

(١) انظر : أحكام القرآن، الجصاص (٦٣٥/٣).

(٢) انظر : تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة (٤٤٦)، معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣٠٥/٥)، المفردات، الراغب (٣٤٧/١)، النكت والعيون، الماوردي (٢٣٧/٦)، زاد المسير، ابن الجوزي (٢٢٩/٨٠)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣١٤/٢٠)، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي (٢٧٩/٢)، أضواء البيان، الشنقيطي (١٢٠/٩) وقال : هو قول الجمهور.

(٣) انظر : العين، الخليل (٢٠٣/١)، الصحاح، الجوهري (١٥٠١/٤).

(٤) انظر : أحكام القرآن، الكيا الهراسي (٤٢٩/٤)، أحكام القرآن، ابن العربي (١٩١١/٤).

(٥) انظر : مفاتيح الغيب، الرازي (١٠١/١١).

فالمقصود الأول في الآية ـــ كما يظهر ـــ هو التنبيه إلى الجمال المبثوث في الكون وما فيه من ألوان وأضواء ولمعان. يقول صاحب الظلال : "الشفق هو الوقت الخاشع المرهوب بعد الغروب ... وهذه اللمحات الكونية الجميلة الرائعة المرهوبة الموحية يلتقطها القرآن الكريم لقطات سريعة، ويخاطب بها القلب البشري الذي يغفل عن خطابها الكوني. ويلوح القسم بها ليبرزها للمشاعر والضمائر في حيويتها وجمالها وإيمائها وإيقاعها"[١].

١- المطلب الثالث : وصف الشمس بالسراج

قال تعالى:"وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا" [٢]،وقال:"وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا"[٣]

نوع القرآن الكريم في الأوصاف التي أعطاها للشمس، الأمر الذي يدل على اهتمامه بها، وعلى عظم أهميتها.

ونلحظ أيضاً أن حديث القرآن عنها يأتي دائما في إطار الحديث عن الحياة والكون، ولا عجب فهي مصدر الحياة بضوئها الباعث على الحرارة التي تعيش عليها الأرض بما فيها من كائنات.

والسراج هو أحد الأسماء التي أعطاها القرآن للشمس فما هو السراج ؟

لو عدنا إلى قواميس اللغة لنتبين المعنى الدقيق "للسراج" نجد أن الشيء لا يسمى سراجاً إلا إذا كان يبث مع الشعاع حرارة، وكذلك لا نقول عنه سراج إلا إذا كان الشعاع منبثق من ذاته[٤].

فالسراج آلة لحرق الوقود، وتوليد الضوء، والحرارة؛ وهذا ما تقوم به الشمس فهي تحرق الوقود النووي، حيث يتفاعل الهيدروجين وتندمج ذرات الهليوم وتبث الطاقة والحرارة والضوء.

---

[١] في ظلال القرآن، سيد قطب (٣٨٦٨/٦، ٣٨٦٩).

[٢] سورة نوح، الآية (١٦).

[٣] سورة الفرقان، الآية (٦١).

[٤] انظـر : الصحاح، الجوهري (٤٨٦/٢)، المفردات، الراغب (٣٠٣/١)، لسان العرب، ابن منظور (٢٢٨/٦)، تاج العروس، الزبيدي (٣٧٤/٢)، المصباح المنير، الفيومي(٢٩١/١) مادة(سرج).

ولذلك فإن تسمية الشمس بالسراج هي تسمية دقيقة جداً من الناحية العلمية، وهي معجزة قرآنية؛ لأن هذه الحقيقة لم يكن لأحد من البشر علم بها وقت نزول القرآن[1].

كما أشارت الدراسات العلمية أيضا إلى أنه يوجد في قلب الشمس فرن نووي يتخذ من الأيدروجين وقوداً محرقة، وكلما احترق الوقود ونفد من قلب الشمس إلى السطح، ذهب إلى هذا القلب أيدروجين جديد ينتقل إليه من الطبقات السطحية.

والأيدروجين بالنسبة للشمس هو زيت الوقود بالنسبة للسراج الذي شبه الله ﷻ به الشمس[2].

وفي موضع آخر نجد القرآن قد أضاف صفة الوهاج للسراج فقال : "وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا" [3] زيادة في الإيضاح والتبيين والتنبيه إلى قوة إضاءتها.

قال البغوي : "أي مصباحا مضيئا"[4] وأضاف القرطبي في الجامع : "مصباح أهل الأرض ليتوصلوا إلى التصرف لمعايشهم"[5].

وهذه الآية من أروع الآيات في درجات التوافقية بين مفهوم الشمس كمصدر للحرارة والضوء، وبين المفاهيم القرآنية التي تتمثل في قوله: "وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا"، فقد أشارت البحوث العلمية الحديثة إلى أن الشمس لها خاصية تسمى "المتوهجات" والمتوهجة هي منطقة بالجزء الأسفل من الشمس ترتفع حرارتها. وسبب هذا الارتفاع

---

[1] انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، محمد عبدالصمد(٤٦)،إعجاز القرآن، مصطفى الرافعي(١٠١).

[2] انظر: القرآن وعلم الفلك، محمد لفندي (٣٠٢)، العلوم في القرآن، د. محمد الحبال (١٦٨)

[3] سورة النبأ، الآية (١٣)

[4] تفسير البغوي (٢٣١/٨)

[5] الجامع لأحكام القرآن (١٩٧/١٨). وانظر : النكت والعيون، الماوردي (١٥٣/٤)، تفسير البيضاوي (١٤٦/٢)

يرجع إلى وجود مجالات مغناطيسية تنتج جسيمات سريعة الحركة تصطدم بمادة جو الشمس العادية، فتحيل هذه المنطقة من الشمس إلى متوهجات شمسية[١].

فما أروع إعجاز القرآن الكريم حين يعبر عن هذه الظاهرة المشروحة في مجلدات بكلمتين اثنتين : "سِرَاجًا وَهَّاجًا".

المطلب الرابع : وصف الشمس بالبزوغ

قال تعالى: "فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً" [٢]

في القرآن الكريم وعلى لسان نبي الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وصفت الشمس بأنها بازغة، وهو وصف يدل على جمال ضوئها وقوته. فبالعودة لمعاجم اللغة نجد أن كل ما جاء في معنى البزوغ يوحي بالجمال؛ فبزغت السن بزغاً بمعنى شقت اللحم فخرجت واضحة، وبزغت الشمس أو القمر أو النجم بدأ طلوعه ووضوحه. وابتزغ الربيع: جاء أوله. وبزغ الصبي بزاغه أي صار متناهي الجمال والشباب[٣].

ونرى في اختيار القرآن الكريم للفظ "بازغة" دلالة جمالية من نواحي منها أنها تفيد التماس الشمس في أول ظهورها[٤].

فالآيات الكريمة لم تقل عن الكواكب أنها بازغت؛ لأن الكواكب تظهر حين يأتي الظلام، ولا ينتظرها المرء في الأفق.

أما وصف الشمس بأنها بازغة فيعني أن إبراهيم عليه السلام كان يصوب ناظريه إلى الأفق يرتقب بدء طلوع الشمس، ولم يكن يصوبه وسط السماء مرتقباً ظهور الشمس فجأة في كبدها.

---

[١] انظر: الإشارات العلمية، سيد كارم (٩٨)، الكون موسوعة لاروس (٢٦٨)

[٢] سورة الأنعام، الآية (٧٨)

[٣] انظر : تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة (١٣٥)، الصحاح، الجوهري (١٣١٥/٤)، المفردات، الراغب (٥٨/١)، لسان العرب، ابن منظور (٥٨/١)، مختار الصحاح، الرازي (٢٢)، مادة (بزغ)

[٤] انظر : الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، عبدالله الخياري (٢٦٨)

والأفق لا علو فيه، فإذا ارتفعت الشمس قليلا سمي ذلك طلوعاً؛ لأنها تشرق على الأرض من علو[١].

كما أن تأنيث الشمس بوصفها "بَازِغَة" في هذه الآية من باب تفخيمها وعظمها وزيادة بيان لجمالها فهو كقولهم: رجل نسابه، وعلامة[٢].

قال أبو السعود : "بازغة: أي مبتدئة في الطلوع"[٣].

المطلب الخامس : وصف الشمس بالضياء

قال تعالى :"هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً"[٤]

وصف القرآن الكريم الشمس بالضياء، حيث أن الضياء أعلى مراتب النور، وأعلى مراتب الحسن والجمال بما تعلنه كل يوم عن ميلاد جديد للحياة والأحياء، ولذلك وصف الله الشمس بالضياء ومن ضوئها تنبثق جميع الألوان.

فما هو الضياء ؟

قال الراغب : "الضياء أعلى مراتب النور، إذ كل ضياء نور وليس كل نور ضياء[٥].

وأضاف السمين الحلبي : "الضوء ما انتشر من الأجسام النيرة. يقال : ضاءت النار وأضاءت غيرها[٦].

وقوله : "جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً" أي فيها اشتعال، وذات ضياء في النهار[٧].

---

[١] انظر : الترادف في القرآن، محمد المنجد (٢٢٤)

[٢] انظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠/٧)، مفاتيح الغيب، الرازي (٤٦/١٣)

[٣] تفسير أبي السعود (١٥٣/٣)

[٤] سورة يونس، الآية (٥)

[٥] المفردات (٩٢/١)

[٦] عمدة الحفاظ (٣٨٩/٢)، وانظر: ايجاز البيان، النيسابوري (٣٩٧/١)

[٧] انظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٦٥/٢)، في ظلال القرآن، سيد قطب (٣٦٥/٢).

وفي هذه الآية دلالة علمية واضحة في التفريق بين الضوء والنور، فالضوء (الضياء) هو الجزء المرئي من الطاقة الكهرومغناطيسية الصادرة من جسم مشتعل ملتهب، متوقد بذاته بفعل الاندماج النووي.

وعلى ذلك فإن مصادر الضوء تنقسم إلى نوعين؛ مصادر مباشرة: كالشمس والنجوم والمصباح والشمعة وغيرها. ومصادر غير مباشرة: كالقمر والكواكب.

والأخيرة هي الأجسام التي تستمد نورها من مصدر آخر مثل الشمس ثم تعكسه علينا وتسمى أشعتها نور، أما الشمس والمصباح فهي أجسام مادية تنتج الضوء عن طريق تسخين سلك من معادن الإشعاع، وكلما ارتفعت درجة الحرارة زادت كمية الضوء المشع، فهذا كله يدل على أن الشمس جسم مشتعل، مضيء بذاته، وتسمى أشعتها ضوءاً وضياءاً[1].

ومثله في القرآن وصف النار بالضياء، ووصف أشعتها الساقطة على من حولها بالنور فقال عز من قائل :"مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ"[2].

ففي الآية السابقة يحكي الله تعالى عن الكافرين ويضرب لهم المثل في حياتهم، التي يظنون أنهم فيها على نور وبصيرة فإذا هم في الظلام. لكن ما يهمنا أن الضياء في الآية السابقة كان بسبب النار التي أضاءت ما حولها، فكان نوراً فذهب الله به.

ونفهم من هذه الآية الكريمة أن النار تشع ضوءاً يسقط على من حولها فتنير الأجسام من حولها، وتصبح نوراً. أي أن النور يلزمه ضياءاً منبعث من جسم مشتعل بذاته.

وهكذا الحال في الشمس التي وصفها الله بأنها سراج وهاج وضياء لأنها تشتعل بذاتها. أما القمر فوصفه بأنه نور لأنه يستمده من ضياء الشمس.

---

[1] انظـر : آيـات قرآنية في مشكاة العلم، د. يحيى المجري (١٤٨)، العلم طريق الإيمان، عبدالمجيد الزنداني (٩٧)

[2] سورة البقرة، الآية (١٧)

ومثال آخر وصف أشعة البرق بأنها ضوء فقال سبحانه : "يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ"[1].

هذه الدقة البالغة في التفريق بين الضوء المنبعث من جسم ملتهب مشتعل، مضيء بذاته، وبين سقوط هذا الضوء من جسم مظلم بارد وانعكاسه نورا من سطحه لا يمكن أن يكون لها مصدر إلا الله الخالق، فهذا الفرق الدقيق لم يدركه العلماء إلا في القرنين الماضيين. فسبحان الذي أنزل القرآن، بعلمه، وتعهده بحفظه[2].

المبحث الثاني : وصف القمر

المطلب الأول : وصف القمر بالنور

قال تعالى : "وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا" [3]

النور هو الظاهر في نفسه، المظهر لغيره[4]، وهو أحد الأوصاف التي وصف القرآن الكريم بها الجمال الذي يتمتع به القمر. ولنور القمر ألوان جميلة تختلف من حين لآخر؛ فعند طلوعه يكون لونه أصفر، ولكنه يصبح أبيض ناصع البياض في كبد السماء حيث يبدو صغيراً بالنسبة لمقارنة مساحته عند الطلوع، كذلك يظهر لونه أحمر بعد الخسوف[5].

ولقد وضحت في المطلب السابق كيف أن الله وصف الشمس بالضياء والقمر بالنور والفرق بين هذين المصطلحين في مدلوهُما[6].

---

[1] سورة البقرة، الآية (٢٠)

[2] انظـر : الـسماء في القرآن، د. زغلول النجار (٥٠٤-٥٠٥)، الإعجاز العلمي، محمد عبدالصمد (٤٦).

[3] سورة نوح، الآية، ١٦.

[4] انظـر : تهذيب اللغة، الأزهري (٢٣٥/١٥)، المفردات، الراغب (٢٥٢/٢)، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي (٢٣٠/٤) مادة (نور).

[5] انظر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن، د. منصور النجار (٢٤٩).

[6] ص : ٣٣.

هناك شبهة أثيرت حول قوله تعالى :"أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا"[1] ولكثرة الكلام عنها أحببت أن ألخص هذه الشبهة والرد عليها بموجز من القول.

أما الشبهة فقالوا: هل حقاً ينير القمر السماوات السبع الطباق ؟ وهل يضئ القمر المجرة والكون المعتم بنوره؟

والرد عليهم من وجوه: فإن معنى الآية من حيث اللغة أولاً يخالف الفهم الذي فهمه مثير الشبهة.

فذكر الكل وإرادة الجزء هو من البلاغة المعروفة في اللغة العربية مثل قولك: سكنت مدينة دمشق، وأنت لم تسكن إلا جزءاً يسيراً منها، لا يقارن مع حجمها.

قال البغوي في تفسيره : "نقلا عن الحسن البصري: "جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا" يعني في السماء الدنيا كما يقال أتيت بني تميم وإنما أتى بعضهم"[2].

وأضاف الألوسي: "منور وجه الأرض في ظلمة الليل، وجعله فيهن مع أنه في إحداهن وهي السماء الدنيا كما يقال : زيد في بغداد وهو في بقعة منها"[3].

وذكر الرازي هذا التساؤل في تفسيره فقال: كيف قال وجعل القمر فيهن نورا، والقمر ليس فيها بأسرها بل في السماء الدنيا ؟ والجواب على هذا كما يقال السلطان في العراق، ليس المراد أنه ذاته حاصلة في جميع أحياز العراق. بل إن ذاته في حيز من جملة أحياز العراق، فكذا ههنا.

كما أن اللغة العربية تعرف بما يسمى : "تناوب معاني حروف الجر" فـ "في" قد تأتي بمعنى "مع". قال قطرب : فيهن بمعنى معهن أي خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والأرض.

---

[1] سورة نوح، الآيتين (١٥، ١٦).

[2] (٢٣١/٨).

[3] روح المعاني (٣١٩/٢١).

وكما أن "نُورًا"في الآية جاءت نكرة،بدليل حذف لام التعريف،والتنوين آخرها.

كما أن تنكير "نُورًا" يفيد أن القمر نور من جملة أنوار كثيرة في السموات والكون، وليس هو النور الوحيد[١].

قال ابن عثيمين : "آية الفرقان:"تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا"[٢] فيمكن أن يكون المراد بالسماء العلو كقوله تعالى : "أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً"[٣] والماء ينزل من السحاب المسخر بين السماء والأرض كما قال تعالى:"وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ"[٤] وهذا التأويل للآية قريب. وأما قوله: "وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا " فيمكن فيها التأويل أيضاً بأن يقال المراد لقوله : " فِيهِنَّ" في جهتهن من وجهة السموات العلو. وحينئذ يمكن الجمع بين الآيات والواقع[٥]".

المطلب الثاني : وصف القمر بالبزوغ

قال تعالى : "فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا"[٦]

القمر هو أجمل الكواكب صورة، وأبينها منظراً، وأكبرها في رأي العين بعد الشمس حجماً.

لذا استرعى نظر سيدنا إبراهيم عليه السلام وكان مثار تفكيره ولفت انتباهه من أول طلوع نوره وبزوغه.

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب (٥٧/١٦).

[٢] الآية (٦١).

[٣] سورة الرعد، الآية (١٧).

[٤] سورة البقرة، الآية (١٦٤).

[٥] القول المفيد (٢٤٧).

[٦] سورة الأنعام، الآية (٧٧).

لذا وصفه القرآن الكريم بهذه الآية بوصف دقيق في "بَازِغًا" أي مبتدأ الطلوع منتشر الضوء.

ولعله كما قال الأزهري : بازغاً مأخوذة من البزغ وهو الشق، كأنه بنوره يشق الظلمة شقا. [1]

ويقال : بزغ الناب إذا ظهر، ومنه بزغ البيطار والدابة إذا سال دمها.

والبزوغ :الطلوع مفاجأة يقال بزغ القمر : إذا ابتدأ في الطلوع فجأة وانتشر ضوءه. [2]

المطلب الثالث : وصف القمر بالاتساق

قال تعالى : "وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ "[3]

وصف القرآن الكريم القمر "بالاتساق" وهو الامتلاء والاستواء ليلة البدر.

قال المفسرون : قوله "وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ " هو افتعل من الوسق الذي هو الجمع. يقال وسقته فاتسق، والوسق جمع الأشياء المتفرقة، وضمك الشيء إلى الشيء. ومعناه: إذا اجتمع واستوى وتكامل نوره واستدار ليلة أربع عشرة[4].

وهي أجمل الأحوال التي يكون فيها القمر، فمشهد القمر وهو يستوي ويمتلئ ليلة البدر مشهد هادئ رائع ساحر.. يفيض على الأرض بنوره الحالم الخاشع الموحي بالصمت الجليل هذه اللمحات الكونية، الجميلة، الجليلة، الرائعة للقمر وهو يتسق يلتقطها القرآن الكريم لقطات سريعة، ويخاطب بها القلب البشري الذي يغفل عن خطابها الكوني ويلوح بالقسم ليبرزها للمشاعر والضمائر في حيويتها، وجمالها، وإيمائها، وابقائها[5].

---

[1] انظر: تهذيب اللغة (٣٦٤/٢).

[2] انظر : المفردات، الراغب (٢٥٢/٢)، عمدة الحفاظ، السمين الحلبي (١٨٦/١) مادة (بزغ).

[3] سورة الانشقاق، الآية (١٨)

[4] انظر :معاني القرآن وإعرابه،الزجاج(٣٠٥/٥)،تفسير البغوي (٣٧٥/٨)،الكشاف، الزمخشري(٧٢٧/٤)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٤٣/١٩)،تفسير ابن كثير (٥٢٣/٤)،أضواء البيان، الشنقيطي(١٢١/٩).

[5] انظر : في ظلال القرآن، سيد قطب (٣٨٦٩/٦).

الفصل الثالث

جمال حركة الشمس والقمر

قال تعالى: "لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ "[1]

المبحث الأول : حركة الشمس

المطلب الأول : غروب الشمس

أعطى القرآن الكريم مشهد غروب الشمس وصفاً جمالياً مستخدماً ألفاظاً جميلة ومعبرة فقال : "حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ"[2] فتعانق بذلك جمال الكتاب المقروء، مع جمال مشهد الغروب.

فقد شبه الشمس بامرأة حسناء تتوارى وراء حجابها. والمقصود بالحجاب هنا: الأفق يريد حين غابت الشمس في الأفق واستترت به.

قال المفسرون : "حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ" يعني الشمس كناية عن غير مذكور ؛ مثل قوله تعالى "مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ "[3] أي على ظهر الأرض.

وتقول العرب:هاجت باردة، أي هاجت الريح باردة. وقال الله تعالى: "فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ"[4] أي بلغت النفس الحلقوم. وقال تعالى:"إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ"[5] ولم يتقدم للنار ذكر.[6]

---

[1] سورة يس، الآية (٤٠).

[2] سورة ص، الآية (٣٢).

[3] سورة فاطر، الآية (٤٥).

[4] سورة الواقعة، الآية (٨٣).

[5] سورة المرسلات، الآية (٣٢).

[6] انظر: إيجاز البيان، النيسابوري (٧١٢/٢)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢٧/١٥).

وهذا القول[1] هو قول أغلب أهل التفسير كالطبري حيث قال : "حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ" أي الشمس غابت في مغيبها[2]، والزمخشري[3]، والواحدي[4]، والنسفي[5]، والبيضاوي[6]، وابن كثير [7] وغيرهم.

وقال الزجاج : "إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشيء أو دليل الذكر وقد جرى ها هنا الدليل وهو قوله :"بالعشي" والعشي ما بعد الزوال"[8].

وقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[9] هذا المعنى؛ ففي مسلم أن رسول الله ﷺ : "كان يصلي المغرب إذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب".

أما القول الثاني في الآية المقصود فيها : تواري الخيل. لتوافقه مع قوله تعالى : "رُدُّوهَا عَلَيَّ"[10] أي الخيل التي ذكرت صراحة في أول الآية. وهذا القول مرجوح[11] ونقله ابن عطيه في المحرر الوجيز[12] عن بعض المفسرين ولم يسمهم. وعده الكرماني في غرائب التفسير[13] من غرائب الأقوال.

---

(1) أي المراد بها الشمس.

(2) تفسير الطبري (١٠/٥٧٨).

(3) الكشاف (٤/١٣١).

(4) الوسيط (٣/٢١٤).

(5) تفسير النسفي (٤/١٣١).

(6) تفسير البيضاوي (١/٤٥).

(7) تفسير ابن كثير (٣/٢٦٥).

(8) معاني القرآن وإعرابه (٤/٣٣١). وانظر : نظم الدرر، البقاعي (٦/٣٨٤).

(9) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت المغرب (١/٢٠٥)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب بيان أن أول وقت المغرب عند غروب الشمس (١/٤٤١).

(10) سورة ص، الآية (٣٣).

(11) انظر : النكت والعيون، الماوردي (٥/٩٣).

(12) (٤/٥٠٣).

(13) (٢/١٠٠٠).

المطلب الثاني : جريان الشمس

قال تعالى : "وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا"[1].

أشار القرآن الكريم إلى حركة انتقال الشمس مرة بكلمة "تجري" وأخرى بكلمة "يسبحون" وهذا يعني أن هناك مغايرة في المعنى. ولو عدنا إلى القرآن لوجدنا أن كلمة "يسبحون" جاءت في آيتين اثنتين فقط الأولى فى سورة يس : "وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ"[2]، والثانية في سورة الأنبياء : "وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ"[3]

أما كلمة "تجري" فاستعملت كثيراً في جريان المياه، والسفن، والرياح، وإنتقال الأجرام السماوية.

ففي جريان المياه قال الله تعالى : "لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ"[4].

وفي جريان السفن قال تعالى : "وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ"[5].

وفي جريان الرياح قال ــ عز من قائل ــ : "فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ"[6].

---

[1] سورة يس، الآية (٣٨).

[2] الآية (٤٠).

[3] الآية (٣٣).

[4] سورة آل عمران، الآية (١٥).

[5] سورة هود، الآية (٤٢).

[6] سورة ص، الآية (٣٦).

وفي حركة الأجرام السماوية وانتقالها قال تعالى : "وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى"[1].

وإذا تأملنا كل آية في القرآن جاءت فيها كلمة "الجري" وجدناها تشير إلى الجسم الجاري بحركة ذاتية، فالماء يجري، والريح تجري، والفلك تجري، والأجرام السماوية تجري. وكلها تعبر عن حركة انتقالها الذاتية.

في حين أشار بآيتي الأنبياء ويس بكلمة "يَسْبَحُونَ" إلى حركة كل من الشمس والقمر والأرض معاً في فلك واحد يسبحون..

ونحن نعلم أن للشمس والقمر والأرض حركات انتقالية ذاتية، لكل جرم من هذه الأجرام.

فالشمس حركة ذاتية حول محورها، وأخرى انتقالية بين النجوم مصحوبة بجميع الكواكب السيارة وأقمارها.

كما أن للشمس حركة تبعية لمجرة درب التبانة مصحوبة بجميع الكواكب السيارة.

ففي حركة الشمس الذاتية عبر عنها القرآن بقوله : "وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى" إلا أن حركة الكواكب السيارة المسحوبة مع الشمس نتيجة لجاذبيتها حركة تبعية. فهي سابحة وإن كانت تجري في أفلاكها الخاصة بها.

وكذلك حركة الشمس الانتقالية تبعاً لحركة المجرة "مجرة درب التبانة" فالمجموعة الشمسية لا تجري بل تنتقل بمجموعها في فلك واحد تبعاً لحركة المجرة وجاذبيتها فهي سابحة.

---

[1] سورة لقمان، الآية (٢٩).

لهذا عبر القرآن عن حركات الأجرام السماوية الذاتية بكلمة "تَجْرِي" في حين عبر عن انتقالها التبعي بكلمة "يَسْبَحُونَ"[1].

فهذه الآية : "وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا"[2]. وضحت قضيتان ألا وهما :

الأولى : أن الشمس تجري جريا حقيقياً وليس ظاهرياً. أي حركة ذاتية حقيقية في مدار مصحوبة بحركة ذاتية من الجرم نفسه.

ولقد ثبت علمياً أن الكواكب التي تملأ الكون يسبح كل منها في فلك "مسار دائري" خاص به، وفي نفس الوقت يدور حول محوره حركة ذاتية أثناء الدوران في الفلك[3].

وأما القضية الثانية : أنها تجري لمستقر لها. وقد اختلف العلماء في معناها ؛ فالقول الأول : وهو القول الراجح أن مستقرها تحت العرش. وهو ما أخرجه البخاري[4] ومسلم[5] في صحيحيهما عن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مستقرها تحت العرش وأنها تذهب فستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها".

فسجودها يليق بها ويعلمه مولاها ويعلم كيفيته سبحانه وتعالى.

فهي تجري كما أمرها الله، تطلع من المشرق وتغيب من المغرب حتى ينتهي هذا العالم. والمقصود أنها تجري لمستقر لها ذاهبة وآيبة، ومستقرها سجودها تحت العرش في سيرها طالعة وغاربة، ذلك تقدير العزيز العليم[6]. قال ابن كثير : وهذا

---

(1) انظر : الكون في القرآن، اليماني (٤٢-٤٤).

(2) سورة يس، الآية (٣٨).

(3) انظر : آيات الله في الآفاق، عبدالمجيد الزنداني (١٤٥).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب تفسير القرآن، سورة يس (٤٦٥/٨).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه التوبة (٢٥٤/١).

(6) انظر : الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز.

مستقرها المكاني[1]. وقال ابن حجر: "وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها تحت العرش ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري"[2].

وأما القول الثاني : أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها، وهو يوم القيامة، يبطل سيرها، وتسكن حركتها، وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته وهذا هو مستقرها الزماني.

ويمكن الجمع بين هذين القولين، حيث لا يوجد تعارض بينهما فالشمس مستقر مكاني، وزماني، فالمكاني هو سجودها كل ليلة تحت العرش والذي دل عليه الحديث الصحيح، وأما الزماني فهو انتهاؤها وتكويرها وذهاب نورها يوم القيامة وهو ما دل عليه قوله تعالى : "إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ"[3].

وقرأ ابن مسعود وابن عباس: "وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لا مُسْتَقَرٍّ لَّهَا" أي لا قرار لها ولا سكون، بل هي سائرة ليلاً ونهاراً لا تفتر ولا تقف. كما قال تبارك وتعالى : " وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ"[4]. أي لا يفتران ولا يقفان إلى يوم القيامة[5].

المبحث الثاني : حركة القمر

المطلب الأول : أوجه القمر وأطواره

قال تعالى : "وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ"[6].

---

[1] تفسير ابن كثير (٣/٥٧٣).

[2] فتح الباري (١/٥٤٢).

[3] سورة التكوير، الآية (١).

[4] سورة إبراهيم، الآية (٣٣).

[5] انظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥/٢٠).

[6] سورة يس، الآية (٣٩).

المتأمل في نظام الكون وحركاته، ينقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير، إذ لا يجد في هذه الحركات والأفلاك إلا النظام التام والدقة الكاملة.

والمتأمل في نظام الشمس والقمر لا يلبث أن تأخذه الدهشة، والذهول من تلك الأجرام المتحركة في تقدير عجيب وتوافق غريب، وما ينشأ عن ذلك من ظواهر الليل والنهار، والشروق والغروب وتطورات القمر وهي المنازل التي قدرها الله له.

فالقمر يبدأ ميلاده في أول ليلة من الشهر بهلال دقيق قليل النور، ثم يتدرج في النمو ويزداد نوره في كل ليلة حتى يتكامل في الليلة (أربعة عشر) ليصبح بدراً كاملاً.

ثم يعاود التناقص في الحجم والنور تدريجياً حتى يصبح في آخر الشهر كالعرجون القديم. ثم يختفي لمدة يوم أو يومين في مرحلة المحاق. وتتكرر هذه الدورة في كل شهر قمري حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ونظرا للارتباط الشديد بين مراحل أشكال القمر المتتالية من الهلال الوليد إلى التربيع الأول إلى الأحدب الأول إلى البدر، ثم الأحدب الثاني ثم الهلال الثاني ثم المحاق إلى الهلال الوليد للشهر القمري الجديد، وبين منازل القمر الثمانية والعشرين وهي مواقعه اليومية المتتالية في السماء بالنسبة إلى نجوم تبدو مواقعها قريبة ظاهرياً، فإن التعبير : "منازل القمر" يمكن اطلاقه على مراحل القمر المتتالية، وعلى منازله المتوافقة مع تلك المراحل "أي مواقعه المتتالية في السماء" باعتبار المنازل جمع "منزل" وهو المنهل والدار[1].

وتقدير هذه المنازل القمرية فيه من الدلالة على طلاقة القدرة الإلهية ما فيه، لأهميته في معرفة الزمن، وتقديره، وحسابه باليوم، والأسبوع، والشهر، والسنة، وفي التاريخ للعبادات، والأحداث، والمعاملات، والحقوق.

ومن هنا كانت هذه الإشارة القرآنية المعجزة إلى وصف مراحل القمر المتتالية في كل شهر والتي يقول فيها ربنا : "**وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ**". ويضاف إلى هذه المعجزات وصف المرحلة الأخيرة من مراحل الدورة الشهرية للقمر بالعرجون القديم.

---

[1] انظر : آيات الله في خلق الكون، الصوفي (٤٩٨).

وهو العنقود من الرطب "العذق" إذا يبس وانحنى واصفر لونه[1]. وهو عند يبوسه على النخلة ينحني تجاهها فكذلك الهلال الثاني ينحني بطرفيه تجاه الأرض. بينما الهلال الوليد ينحني بهما بعيداً عنهما[2].

وتفسير ذلك من الناحية الفلكية أن القمر يدور حول الأرض في مدار شبه دائري، وفي أثناء هذه الدورة يقع القمر على خط واحد بين الأرض والشمس، فيواجه الأرض بوجه مظلم تماماً، وتسمى هذه المرحلة باسم مرحلة الاقتران، ويعرف شكل القمر فيها باسم المحاق، وتستغرق هذه المرحلة ليلة إلى ليلتين تقريباً.

ثم يبدأ القمر في التحرك ليخرج من هذا الوضع الواصل بين مراكز تلك الأجرام الثلاث، فيولد الهلال الذي يحدد بمولده بداية شهر قمري جديد، ويقع هذا الهلال في أول منزل من منازل القمر، ويمكن رؤيته بعد ساعات من ميلاده إذا أمكن مكثه لمدة لا تقل عن عشر دقائق بعد غروب الشمس. وكان الجو على درجة من الصفاء تسمح بذلك.

وباستمرار تحرك القمر في دورته البطيئة حول الأرض تزداد مساحة الجزء المنير من وجهه المقابل لكوكبنا بالتدريج حتى يميل إلى التربيع الأول في ليلة السابع من الشهر القمري، ثم إلى الأحدب الأول في ليلة الحادي عشر، ثم البدر الكامل في ليلة الرابع عشر. وفيها تكون الأرض بين الشمس من جهة والقمر من جهة أخرى على استقامة واحدة.

وبخروج القمر عن هذه الاستقامة مع كل من الأرض والشمس تبدأ مساحة الجزء المنير من وجهه المقابل للأرض في التناقص بالتدريج فيتحول إلى مرحلة الأحدب الثاني في حدود ليلة الثامن عشر، ثم إلى التربيع الثاني في ليلة الثالث والعشرين، ثم إلى الهلال الثاني في ليلة السادس والعشرين من الشهر القمري، ويستمر

---

(1) انظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٢/١٥)، تفسير ابن كثير (٥٧٣/٣).

(2) انظر : اعجاز القرآن في آفاق الزمان، د. منصور النبي (٢٥٤).

في هذه المرحلة لليلتين حتى يصل إلى مرحلة المحاق في آخر ليلة أو ليلتين من الشهر القمري حين يعود القمر إلى وضع الاقتران بين الأرض والشمس من جديد[1].

المطلب الثاني : متابعة القمر في حركته للشمس

قال تعالى : "وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا"[2].

شاءت إرادة الله ﷻ وحكمته البالغة ألا تظلم سماء الأرض إظلاماً تاماً بمجرد غياب الشمس الظاهري من الأرض، فأبقى لنا القمر والنجوم تنير ظلمة ليل الأرض.

فبمجرد غياب الشمس عنا يصلنا ضوؤها المنعكس من فوق سطح القمر نوراً لا حرارة فيه، ويرى نور القمر في مراحله المتتالية من الميلاد إلى المحاق.

ونظراً لقربه من الأرض فإن أثره في إنارة ظلمة ليل الأرض أبلغ من أثر النجوم، حتى وهو في مرحلة الهلال.

فهذه الآية الكريمة تصف لنا متابعة القمر للشمس في حركاتهما الظاهرية حول الأرض. وهي حقيقة لم تدرك إلا بعد نزول القرآن الكريم بقرون عديدة، فسبحان الذي خلق القمر وأنزل في محكم كتابه هذا القسم الإلهي بموالاة القمر لغروب الشمس فقال عز من قائل : " وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا " وهي موالاة في أمور عديدة وليس فقط في حركاته الحقيقية والظاهرية [3].

فقوله : "إِذَا تَلَىٰهَا" أي تبعها طالعاً عند غروبها، فتلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور: ففيه دلالة على سيرهما وأنها سابقته وهو تاليها[4]، قال السمين الحلبي : "إنما قال: "تَلَىٰهَا" لأن معناها هنا الاقتداء وذلك لما قيل أن القمر مقتبس من

---

[1] انظر : آيات الله في السماء، د. زغلول النجار (٥١٨).

[2] سورة الشمس، الآية (٢).

[3] انظر : نظم الدرر، البقاعي (٤٣٨/٨).

[4] انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣٣١/٥)، تفسير البغوي (٤٣٧/٨)، أضواء البيان، الشنقيطي (٢٣٩/٩).

نور الشمس، فهو لها بمنزلة الخليفة وعلى هذا نبه بقوله : " **وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا**". فأخبر أن الشمس بمنزلة السراج والقمر بمنزلة النور المقتبس منها"[1].

[1] عمدة الحفاظ (٢٦٨/١).

الفصل الرابع

علاقة الشمس والقمر بيوم القيامة

المبحث الأول : دنو الشمس يوم القيامة

من الأهوال العظيمة التي تحدث يوم القيامة دنو الشمس وقربها من العباد على قدر ميل، وسواءً كان هذا الميل يراد به الميل الذي يقاس به المسافة، أو ميل المكحلة، فإنها تعتبر قريبة. وإذا كانت هذه حرارتها في الدنيا، وبيننا وبينها من البعد شيء عظيم، فكيف إذا كانت على الرؤوس بمقدار ميل !!

وقد يقول قائل : المعروف الآن أن الشمس لو تدنوا بمقدار شعرة عن مستوى ارتفاعها لأحرقت الأرض ؛ فكيف يمكن أن تكون في ذلك اليوم بهذا المقدار من البعد ثم لا تحرق الخلق؟

الجواب على ذلك كما قال الشيخ ابن عثيمين ـــ رحمه الله ـــ : "إن الناس يحشرون يوم القيامة ؛ ليسوا على القوة التي هم عليها الآن، بل هم أقوى وأعظم وأشد تحملاً. ولو أن الناس الآن وقفوا خمسين يوماً في شمس لا ظل ولا أكل ولا شرب فلا يمكنهم ذلك، بل يموتون، لكن يوم القيامة يبقون خمسين ألف سنة لا أكل ولا شرب ولا ظل إلا من أظله الله ﷻ ومع ذلك يشاهدون أهوالاً عظيمة فيتحملون. فإن قيل : هل أحد يسلم من الشمس ؟ فالجواب : نعم هناك أناس يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله أخبر بذلك النبي ﷺ ؛ فقال : إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"[1][2].

وقد ورد نص صريح صحيح يثبت دنو الشمس من رؤوس الخلائق يوم القيامة. حيث روى الإمام مسلم في صحيحه : "عن المقداد بن الأسود قال : سمعت

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٤/١)، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ومسلم في صحيحه (٧١٥/٢)، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة.

[2] مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤٩٥/٨).

رسول الله ﷺ يقول : تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل"، قال سليم بن عامر : " فو الله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض، أم الميل الذي تكتحل به العين" قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، قال : وأشار إلى رسول الله ﷺ بيده إلى فيه"[1].

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم"[2].

قال النووي في شرح صحيح مسلم : "وسبب كثرة العرق تراكم الأهوال، ودنو الشمس من رؤوسهم وزحمة بعضهم بعضاً"[3].

وقال ابن حجر في فتح الباري : "وأخرج ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال : "تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم ترتفع حتى يغرغر الرجل"، زاد ابن مبارك في روايته : "ولا يضر حرها يومئذ مؤمنا ولا مؤمنة"، قال القرطبي : المُراد من يكون كامل الإيمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره، أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم. وفي حديث ابن مسعود عند الطبراني والبيهقي : "أن الرجل ليفيض عرقاً حتى يسبح في الأرض قامة، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه"، وفي رواية عند أبي يعلى وصححها ابن حبان : "أن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول : يارب أرحني ولو إلى النار". وللحاكم والبزار من حديث جابر نحوه، وهو كالصريح في أن ذلك كله فى الموقف"[4].

---

[1] صحيح مسلم (١/١٢٦).

[2] صحيح البخاري (١/٢٤٥).

[3] شرح صحيح مسلم، النووي (٩/٢٤٥).

[4] (١٨/٣٧٨).

ولقد طعن بعض المغرضين في الحديث الذي رواه الإمام مسلم زاعمين ؛ أن كلاً من سنده ومتنه ضعيف. ويستدلون على هذا بأن راوي الحديث المقداد بن الأسود لم يدرك سليم بن عامر فكيف سمع منه.

كما أن متنه يعارض القرآن الكريم ومن ذلك قوله : "يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ"[1]. وقوله : "إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ"[2]. وقوله : "وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا"[3].

ويتساءلون كيف يصرح الحديث بدنو الشمس من الخلق يوم القيامة مع أن هذه الآيات تثبت عدم وجودها أصلاً يوم القيامة ؟

ووجه أبطال هذه الشبه من نواحي عدة :

أولها : أن حديث دنو الشمس من الخلق يوم القيامة حديث صحيح، متفق على صحته، وليس هناك انقطاع في سنده عند الإمام مسلم. فقد أثبت علماء الجرح والتعديل إدراك سليم بن عامر للمقداد بن الأسود ﷺ وروايته عنه[4]، فالسند متصل لانقطاع فيه ولا ضعف.

وثانيها : أخرجه الإمام الترمذي في سننه[5] وعلق عليه بقوله : "وفي الباب عن سعيد وابن عمر وهذا حديث حسن صحيح". كما أن للحديث شواهد متعددة منها ما أخرجه البخاري في صحيحه[6] وابن حبان في صحيحه [7] وأحمد في مسنده[8].

---

(1) سورة إبراهيم، الآية (٤٨).

(2) سورة التكوير، الآية (١).

(3) سورة الزمر، الآية (٦٩).

(4) انظر : تهذيب الكمال للمزي (١١-٣٤٤-٣٤٦).

(5) (٨٩/٧).

(6) سبق تخريجه ص : (٥٣).

(7) (٣٢٤/١٦).

(8) (٢٥٤/٥).

وثالثها : أن القرآن الكريم لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى عدم وجود الشمس يوم القيامة، وإنما كل ما أشار إليه كما قال جل المفسرين أن الشمس ستكور أي تلف وترمى في النار فيذهب ضوؤها[1]. وذلك بعد دنوها من الخلق في أرض المحشر، كما صرح بذلك حديث البخاري وغيره.

ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف وتدنى الشمس من الرؤوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض، وماذا يرويها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعا مع أن كل واحد لا يجد إلا قدر موضع قدمه، فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه، إن هذا لما يبهر العقول، ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة أن ليس للعقل فيها مجال، ولا يعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يؤخذ بالقبول ويدخل تحت الإيمان بالغيب ومن توقف في ذلك دل على خسرانه وحرمانه. وفائدة الأخبار بذلك أن يتنبه السامع فيأخذ من الأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان وإدخاله دار الكرامة بمنه وفضله.

قال الشيخ ابن عثيمين ـــ رحمه الله ـــ : "إن وظيفة المؤمن فيما ورد من أخبار الغيب القبول والتسليم، وأن لا يسأل عنها بكيف ؟ ولم ؟ وهذه قاعدة يجب أن نبني عليها عقيدتنا، لأن هذا أمر فوق ما تتصوره أنت، فالواجب عليك أن تقبل وتسلم وتقول : آمنا وصدقنا. آمنا أن الشمس تدنو من الخلائق يوم القيامة بمقدار ميل، وما زاد على ذلك من الإيرادات فهو من البدع.

ولهذا لما سئل الإمام مالك عن استواء الله على العرش كيف استوى ؟ قال : "السؤال عنه بدعه. هكذا أيضا كل أمور الغيب السؤال عنها بدعة، وموقف الإنسان منها القبول والتسليم[2].

---

[1] سيأتي توضيح ذلك في المبحث التالي – بإذن الله – ص: (٥٧).

[2] مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٨/٤٩٥). .

المبحث الثاني : نهاية الشمس والقمر

يخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم أن كل المخلوقات ستفنى وتزول لأن حياتها محدودة، وأن الحياة الكاملة المطلقة هي لله الحي الذي لا يموت قال تعالى: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" [1].

وقد أطلعنا الله ﷻ في كتابه على بعض الكيفيات التي ستنتهي بها بعض المخلوقات ومن ذلك الشمس والقمر قال تعالى : "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ" [2]. وقال : "وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى" [3].

ومعنى ذلك أن كلاً من الشمس والقمر يجرى إلى نهايته المحتومة بقيام الساعة، وأن هذا الأجل المسمى صورة من صور التسخير.

وقد كشف العلم الحديث أن للنجوم حياة طويلة تمر بمراحل متعددة، فهي تولد وتكبر تدريجياً لتصل إلى مرحلة الشباب والفتوة، ثم تصير إلى الشيخوخة، ثم تندثر وتموت. وهذا يتطابق مع أخبار القرآن الكريم بما ستؤول إليه النجوم عند قيام الساعة، ولكن الفرق بين ما يحدث في أيامنا هذه، وما سيحدث عند قيام الساعة، هو أن نهاية النجوم عند قيام الساعة ستكون نهاية تشمل كل النجوم بلا استثناء، أما ما يحدث في الدنيا هو نهاية فردية لبعض النجوم وليس لجميعها.

فالشمس تفقد في كل ثانية من عمرها على هيئة طاقة ما يعادل ٤,٦ مليون طن من كتلتها، مما يعنى أن الشمس تحترق بتدرج واضح ينتهي بها حتماً إلى الفناء التام .

---

[1] سورة الرحمن الآيتان : (٢٦-٢٧).

[2] سورة التكوير، الآية (١).

[3] في ٤ مواضع في القران : سورة الرعد، الآية (٢)، سورة فاطر، الآية (١٣)، سورة الزمر، الآية (٥)، سورة لقمان، الآية (٢٩).

ولما كانت الشمس تفقد من كتلتها باستمرار، فلا بد أن تفقد الأرض من كتلتها قدراً متناسباً من أجل بقاء المسافة بينهما ثابتة، وهي محكومة بكتلتي هذين الجرمين، و يتحدد بواسطتها قدر الطاقة التي تصل من الشمس إلى الأرض . والتي إن زادت أحرقت الأرض ومن عليها، وإن قلت جمدت الأرض ومن عليها.

فالأرض تفقد من كتلتها ملايين الأطنان من الغازات والأبخرة والأتربة.

كذلك فإن المسافة بين القمر والأرض تحكمها – بعد إرادة الله تعالى – قوانين الجاذبية المعتمدة على كتلة كل منهما؛ ولما كانت الأرض تفقد من كتلتها بمعدلات ثابتة ومتوازية مع ما تفقده الشمس كان لابد للقمر لكي يبقى على نفس المسافة من الأرض أن يفقد من كتلته قدرا موازيا.

وقد يقول قائل : إننا إذا عرفنا معدل ما تفقده الشمس من كتلتها أو معدل تباعد القمر عن الأرض في كل سنة، فإنه بإمكاننا أن نحدد لحظة ابتلاع الشمس له، ولحظة انهيارها وفنائها وهي بداية الآخرة.

وللرد على ذلك نقول: أن الآخرة من الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وهي أمر إلهي لا علاقة له بسنن الدنيا . ولكن الله تعالى من رحمته بنا قد أبقى لنا في صخور الأرض، وفي صفحة السماء من الشواهد الحسية ما يقطع بحتمية فناء الكون حتى لا يتشكك متنطع في الإيمان بحتمية الآخرة فإنها إذا لم تقع بالأمر الإلهي " كن فيكون " – كما لا يريد الكافرون أن يؤمنوا – فسوف تقع حتما بالسنن القائمة الحاكمة لدنيانا الراهنة، وهى واضحة لكل ذي بصيرة[1].

وهذا هو الأجل المسمى الذي أخبر الله به عباده في كتابه أما قوله "**إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ**" فقال العلماء : معنى كورت أي أظلمت وذهب ضوءها[2].

---

[1] انظر: السماء في القرآن، د. زغلول النجار (٥٨٦-٥٨٨).

[2] انظر : زاد المسير، ابن الجوزي (٤٤٧/٨)، تفسير ابن كثير (٥٩٠/٤).

قال الزجاج : "لفت كما تلف العمامة، يقول : كورت العمامة على رأسي أكورها كوراً وكورتها تكويرا إذا لففتها، وأصل التكوير جمع بعض الشيء إلى بعض فمعناه: أن الشمس يجمع بعضها إلى بعض ثم تلف فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها"[1].

وهذا المعنى هو حقيقة ما نفهمه من خلال تلك الأحداث التي تحصل للشمس لتنطفئ شمعتها، ويخف ضوؤها وتخبت حرارتها.

وكذلك القمر قال تعالى : "فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ، وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ"[2]. قال العلماء : خسف هنا بمعنى اختفى وذهب نوره وضوءه؛ لأن القمر مع تباعده وانعكاس ضوء الشمس عليه فإن نوره الذي ينبعث منه يضعف، فكلما ابتعد عنا ضعف نوره بالتدريج حتى يختفي تماما.

قال د . زغلول النجار : " قال تعالى : "فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ، وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ، وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ": هذه علامة من علامات تدمير الكون فجمع الشمس والقمر أصبح حقيقة علمية الآن، لأنه ثبت بقياسات دقيقة للغاية أن القمر الذي يبعد عنا في المتوسط حوالي ٤٠٠ ألف كم يتباعد عنا بطريقة مستمرة بمعدل ثلاثة سنتيمترات في السنة، هذا التباعد سيدخل القمر وقت من الأوقات في نطاق جاذبية الشمس فتبتلعه الشمس، وهذا من التنبؤات العلمية المبنية على استقراءات كونية، وحسابات فلكية دقيقة، فالقمر يستمر بتباعده عن الأرض لابد وأن يؤدى به هذا التباعد في يوم من الأيام إلى أن تبتلعه الشمس ولكن متى سيتم ذلك ؟ هذا في علم الله سبحانه وتعالى"[3].

---

[1] معاني القرآن وإعرابه (٥/٤٥٠).

[2] سورة القيامة، الآية (٧- ٨).

[3] من آيات الإعجاز (٢٦٥).

(الخاتمـــــة)

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله على ما أتم فأنعم، وأعطى فأكرم.

لقد منّ الله علي بوافر كرمه وفضله، على إتمام هذا البحث وهو الشمس والقمر في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية).

ولقد بذلت في هذا البحث الطاقة في البحث والاستقصاء، ولم أدخر وسعا بالرجوع إلى ما يسره الله لي من المصادر والمراجع. ولم أتعمد تقصيرا أو إخلالا بواجب نحو هذا العمل ومع هذا كله "فأنا معترفة بالقصور، بين أهل العصور، راغبة من أهل اليد البيضاء، والمعارف المتسعة الفضاء في النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء، والتغمد لما يعثرون عليه بالإصلاح والإغضاء فالبضاعة بين أهل العلم مزجاة، والاعتراف من اللوم منجاة، والحسنى من الإخوان منجاة"[1]. والله اسأل أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به وأن يجعله في ميزان حسناتي إنه سميع مجيب، وأصلي واسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وأستطيع ان استخلص من البحث بعض النتائج التالية :

أولا : التأمل والبحث فى إعجاز الله بالكون يؤكد على معاني صفات الله، وأسمائه الحسنى.

ثانيا: إن الإبداع الإلهي في الكون يظهر مدى صفات العظمة والكمال والجمال لله ﷻ.

ثالثا : الإعجاز الإلهي في تسخير كل ما في الكون للإنسان وحده ؛ لتحقيق مفهوم العبودية والاستخلاف في الأرض.

رابعا : التدبر في دقة وإبداع الكون يقود المسلم إلى الدقة والإبداع في تطبيق الشريعة في شتى نواحي الحياة.

خامسا: إن الحقائق والمعجزات العلمية الكونية في تجدد وتنوع مستمر وكل هذا يشهد بصدق نبوة محمد ﷺ .

---

[1] مقدمة ابن خلدون (٨).

سادسا: التطابق الكبير بين الآيات الكونية في كتاب الله، مع الآيات الحسية في الكون.

سابعا: ان كل ما فى الكون من مخلوقات هي سائرة إلى الفناء لا محالة، والبقاء لوجه الله ﷻ.

أما عن التوصيات فهي كالآتي :

أولا : تكريس الاهتمام بجميع جوانب وأنواع الدراسات المتعلقة بالإعجاز العلمي.

ثانيا: رصد الميزانيات الحكومية فى الدول الإسلامية لإقامة المعامل والمراصد والمختبرات لإثبات الظواهر الكونية ذات الصلة بالإعجاز العلمي فى القرآن والسنة.

ثالثا: إقرار مناهج دراسية أو جزء من منهج دراسي ذات الصلة بعلم الفلك على مستوى التعليم الجامعي.

رابعا: نشر وإشاعة ثقافة التأمل والتدبر فى الإعجاز الإلهي بالكون من خلال إقامة المحاضرات والندوات أو حتى على مستوى المؤتمرات الإسلامية.

خامسا: العمل على ترجمة الكتب الإسلامية التى تطرقت إلى مفاهيم الإعجاز العلمي بشتى اللغات ونشرها بين الشعوب.

سادسا: تأسيس قناة إسلامية تهتم بعلوم الفلك والآيات الكونية وتستهدف نشر ثقافة التأمل والتدبر بين العامة.

هذا والله أعلم وأحكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإشارات العلمية في القرآن الكريم ـــ السيد كارم السيد غنيم.

٢- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـــ د. زكريا ياهيمي.

٣- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ـــ سامي أحمد الموصلي.

٤- الإعجاز العلمي في القرآن الكزيم ـــ محمد سامي محمد علي.

٥- الترادف في القرآن ـــ لمحمد المنجد ـــ دار الكتب المصرية.

٦- الجامع لأحكام القرآن ـــ للقرطبي ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت : لبنان ـــ ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ـــ للسمين الحلبي ـــ تحقيق: د. أحمد محمد الخراط ـــ دار القلم ـــ دمشق ـــ الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـــ للجوهري ـــ تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار ـــ دار العلم للملايين ـــ بيروت : لبنان ـــ الطبعة الرابعة :١٩٩٠م.

٩- الظاهرة الجمالية في القرآن ـــ عبدالله الخياري ـــ دار المعرفة ـــ بيروت.

١٠- العلم طريق الإيمان ـــ عبدالمجـيد الزنداني ـــ دار الكتب المصرية.

١١- العلوم المعاصرة في خدمة الداعية ـــ د. حمد الحبال ـــ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـــ بيروت : لبنان.

١٢- العلوم في القرآن ـــ د. محمد جميل الحبال ، د. مقدار مرعي الجواري.

١٣- العين ـــ للخليل بن أحمد الفراهيدي ـــ تحقيق : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامري ـــ دار ومكتبة الهلال ـــ ١٩٨٦م.

١٤- الفتاوى الكبرى ـــ لابن تيمية ـــ تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت: لبنان ـــ الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٥- الفروق ـــ لأبي هلال العسكري ـــ تقديم وتعليق : د. أحمد الحمصي ، وجروس بروس ـــ لبنان ، طرابلس ـــ الطبعة الأولى : ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٦- الفلك ـــ صلاح الدين بيطار ـــ الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ.

١٧- القاموس المحيط ـــ للفيروز آبادي ـــ مؤسسة الرسالة ، دار الريان للتراث ـــ بيروت ـــ الطبعة الثانية : ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٨- الكتاب ـــ لسيبويه ـــ دار الجيل ـــ بيروت : لبنان ـــ الطبعة الأولى.

١٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـــ للزمخشري ـــ دار الكتاب العربي.

٢٠- الكون ـــ موسوعة لاروس.

٢١- الكون في القرآن الكريم ـــ بهاء الدين اليماني ـــ دار النفائس ـــ بيروت : لبنان ـــ الطبعة الأولى : ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٢- الكون والإعجاز العلمي ـــ د. منصور النجار ـــ دار المعرفة ـــ بيروت.

٢٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـــ لابن عطيه الأندلسي ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت: لبنان ـــ الطبعة الأولى : ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـــ لأحمد بن محمد الفيومي ـــ تصحيح: مصطفى السقا ـــ المطبعة الأميرية.

٢٥- المعارف الطبية في ضوء القرآن والسنة ـــ د. أحمد شوقي خليل.

٢٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـــ وضعه: محمد فؤاد عبدالباقي ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت : لبنان.

٢٧- المفردات في غريب القرآن ـــ للراغب الأصبهاني ـــ مكتبة نزار مصطفى الباز ـــ مكة ، الرياض ـــ الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٨- المنظومة الشمسية ـــ د. علي موسى ، د. مخلص الريس ـــ دار دمشق.

٢٩- النجوم والكواكب ـــ سلسلة دليل المعرفة ـــ دار العلم للملايين.

٣٠- النكت والعيون ـــ للماوردي ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت : لبنان.

٣١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ـــ للواحدي ـــ تحقيق: عادل عبدالموجود ، وعلى معوض، وأحمد صبري، ود. أحمد الجمل، ود. عبدالرحمن عويس ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت : لبنان ـــ الطبعة الأولى : ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٣٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبي السعود ـــ لأبي السعود ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت: لبنان ـــ الطبعة الثانية :١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣٣- إعجاز القرآن في آفاق الزمان والمكان ـــ د. منصور حسب النبي.

٣٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـــ مصطفى صادق الرافعي.

٣٥- إيجاز البيان عن معاني القرآن ـــ لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري ـــ تحقيق : د. حنيف بن حسن القاسمي ـــ دار الغرب الإسلامي ـــ بيروت ـــ الطبعة الأولى : ١٩٩٥م.

٣٦- أحكام القرآن ـــ لابن العربي ـــ تحقيق : علي محمد البجاوي ـــ دار الجيل ـــ بيروت.

٣٧- أحكام القرآن ـــ للجصاص ـــ ضبط نصه وخرج آياته : عبدالسلام شاهين ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

-٣٨ أحكام القرآن ـــ للطبري المعروف بالكياالهراسى ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ الطبعة الثانية : ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

-٣٩ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ـــ للشنقيطي ـــ عالم الكتب ـــ بيروت.

-٤٠ أعماق الكون ـــ سعد شعبان ـــ دار الكتب المصرية.

-٤١ آيات القرآن في مشكاة العلم ـــ د. يحي المجري ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت : لبنان.

-٤٢ آيات الله الكونية في القرآن الكريم ـــ د. محمد بن جمعه بن سالم.

-٤٣ آيات الله في الآفاق ـــ أ.د. محمد راتب النابلسي ـــ دار المكتبي ـــ دمشق.

-٤٤ آيات الله في الآفاق ـــ عبدالمجيد الزنداني.

-٤٥ آيات الله في السماء ـــ د. زغلول النجار ـــ دارة المعرفة ـــ بيروت ـــ الطبعة الخامسة: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

-٤٦ آيات الله في خلق الكون ـــ د. ماهر الصوفي ـــ مكتبة الإيمان ـــ المنصورة.

-٤٧ بين الدين والعلم ـــ عبد الرزاق النوفل ـــ دار المعرفة ـــ بيروت.

-٤٨ تهذيب اللغة ـــ لأبي منصور الأزهري ـــ الدرا المصرية ، مطابع سجل العرب ـــ القاهرة.

-٤٩ تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ـــ للإمام البغوي ـــ دار طيبة ـــ الطبعة الرابعة : ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

-٥٠ تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـــ لأبي سعيد البيضاوي ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت : لبنان ـــ الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

-٥١ تفسير القرآن العظيم ـــ لابن كثير ـــ دار الفكر ـــ ١٤٠٦/١٩٨٦هـ.

٥٢- تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل ـــ للإمام النسفي ـــ تحقيق : زكريا عميرات ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت: لبنان ـــ الطبعة الأولى:١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٥٣- تفسير غريب القرآن ـــ لابن قتيبة ـــ شرح ومراجعة : إبراهيم محمد رمضان ـــ دار ومكتبة الهلال ـــ بيروت ـــ الطبعة الأولى : ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٥٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـــ عبدالرحمن ناصر السعدي ـــ تحقيق : محمد زهري البخاري ـــ مكتبة الخلفاء للكتاب الإسلامي ـــ الرياض ـــ الطبعة الأولى : ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـــ لابن جرير الطبري ـــ تحقيق: صديق جميل العطار ـــ دار الفكر ـــ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٥٦- خلق الكون بين العلم والإيمان ـــ د. محمد باسل الطائي.

٥٧- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للألوسي دار الفكر ـــ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٨- زاد المسير في علم التفسير ـــ لأبي الفرج ابن الجوزي ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت : لبنان ـــ الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥٩- صحيح مسلم ـــ للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ـــ تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ـــ المكتبة الإسلامية ـــ استنابول: تركيا.

٦٠- صحيح مسلم بشرح النووي ـــ المطبعة المصرية.

٦١- علم الفلك والكون ـــ د. عواد الزحلف ـــ دار الجيل ـــ بيروت.

٦٢- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ـــللسمين الحلبي ـــتحقيق:محمد باسل عيون السود ـــدار الكتب العلمية ـــ بيروت:لبنان ـــ الطبعة الأولى:١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٦٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـــ لابن حجر العسقلاني ـــ دار المعرفة ـــ بيروت : لبنان.

٦٤- في ظلال القرآن ـــ لسيد قطب ـــ دار القلم ـــ جدة ـــ الطبعة الثانية عشرة : ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٦٥- لسان العرب ـــ لابن منظور ـــ مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت : لبنان ـــ الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٦٦- مختار الصحاح ـــ لأبي بكر الرازي ـــ مكتبة لبنان ـــ بيروت ١٩٨٦م.

٦٧- معاني القرآن ـــ للفراء ـــ تحقيق: محمد علي النجار ـــ دار السرور.

٦٨- معاني القرآن وإعرابه ـــ للزجاج ـــ تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي ـــ دار الحديث ـــ القاهرة ـــ الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٦٩- معجم المؤلفين ـــ لعمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة ـــ بيروت ـــ الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٧٠- مفاتيح الغيب ـــ للإمام الرازي ـــ دار احياء التراث العربي ـــ بيروت ـــ لبنان ـــ الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٧١- الله يتجلى في عصر العلم ـــ تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين ـــ الطبعة الأولى.